المحور الإسلامي في شعر الأطفال عند أحمد شوقي ومُحَمَّد إقبال

The Islamic Axis in Children's Poetry of Ahmad Shawqi and Muhammad Iqbal

Khawaja Faizullah
PhD Research Scholar Department of Arabic, University of Peshawar
Email: khawajafaizullah@gmail.com

Prof. Dr. Yaqoob Khan Marwat
Department of Arabic University of Peshawar
Email: yaqoobkhan@upesh.edu.pk

ISSN (P):2708-6577
ISSN (E):2709-6157

Abstract
Poetry is an art and a unique way of expressing views in an amusing way that interpret the general feelings and emotions of the society. In this regard, children's poetry is comparatively more sensitive in nature particularly as far as its educational aspect is concerned.
Watered by meaningful poetry filled with the message of goodness, the growing flowers will give much more fragrance to the beneficiaries. No doubt, flowers are the children, beneficiaries are the people wile fragrance makes its appearance in the form of noble manners, whole heartedness, high character, obedience and a sense of responsibility. This nursery will thrive and assume the shape of a good product in the form of a strong nation. Keeping in view the understanding level and interest of the children, meaningful poetry can serve bitterly the nation through satisfying the needs of future generation.
The present article discusses the Islamic axis in children's poetry of Ahmad Shawqi and Muhammad Iqbal. The both poet has determined Islamic values for children through their poetic expression.
Keywords: *Islamic Poetry, Ahmad Shawqi, Muhammad Iqbal, Children's Poetry, Children's Literature.*

المقدمة:

هناك أهمية بالغة للموضوع في شعر الأطفال، إذ تلعب المضامين دورا خطيرا في بناء أفكار الأجيال الجديدة التي ستحمل وزر تشكيل المجتمع في المستقبل، لأن ما يحرز الطفل في حياته المبكرة من عادات وتقاليد ومعلومات وقيم، لم تزل منقوشة على شخصيته طول حياته، ولا تقبل التعديل أو التغير والتبدل إلا بالصعوبة.

وقد كان الشاعران الجليلان أحمد شوقي ومُحَمَّد إقبال على إدراك بعيد بهذه الحقيقة، فكان لهما اعتناء خاص بهذا العنصر الأدبي، وذالك في إطار رؤيتهما الكلية المقتبسة من انتسابهما إلى الفكر الإسلامي باعتبار تفوقهما على الأقران من الشعراء في الشعر الإسلامي بحيث لم يظهر التيار الإسلامي بهذه الوفرة والغزارة عند غيرهما من الشعراء المعاصرين، وباعتبار تصورهما اعتقاديا شاملا، ومنهجا حياتيا متكاملا، وباعتبار إيمانهما الراسخ بأن إصلاح هذه الأمة المرحومة لا يمكن إلا بهذا الدين كما صلح به حال أوائلها، وهذه الملامح يجدها المطالع منثورة في أعمالهما الشعرية والنثرية كافة.

لقد انتبه الشاعران لهذا الهم الفخم، أن ينشأ الأطفال نشأة صالحة قادرة على مواجهة تحديات الزمن الجديدة، ومقاومة أخطار الحضارات الزائغة، لكي يحافظ الأطفال على دينهم وعقيدتهم وثقافتهم ويحققوا الرفعة والكرامة، وينشر لواء الخير

والسلام، وهذا الأمر ليس سهلا، لأن هذه المهمة تقتضي تربية الأطفال تربية صالحة، ويتطلب لهم إعدادا كافيا، ويستدعي الرؤية الواضحة والعزيمة الصادقة. من هذا المنطلق كان إصرار الشاعرين في شعرهما للأطفال على تلك المحاور والموضوعات التي تلعب دورا فاعلا في بناء الجيل الجديد الذي يعول عليه في تحقيق الآمال والطموحات. ولذا نجد تشابها كبيرا في قصائد الأطفال لكل من أحمد شوقي ومُحَمَّد إقبال، وخاصة نجد توافقا مذهلا في قصائدهما الإسلامية والدينية للأطفال مقتبسة من القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي. وفي هذا البحث المتواضع أحاول أن أناقش هذا المحور – الذي ما سبق إليه أي باحث من قبلي – في شعرهما للأطفال.

المحور الإسلامي في شعر أحمد شوقي:

لقد كان شوقي من الرعيل الأول في عصره الذي اهتم بالفكر الإسلامي والمحور الروحي وأزرى بالحياة المادية ولم يحسب لها حسابا بالرغم من النعيم الذي يستظل بظله، وأشاد واحتفى بالحياة الروحية؛ لأثرها في تلخيص النفس من أوضارها، وبعث هذا الفن من الفنون من سباته العميق الذي كان يغط فيه، بعد أن كان يمثل الركيزة الأساس في الأدب المصري في عصر المماليك، وما كاد شوقي يضع المفتاح في القفل حتى جاء من بعده ومن عاصره من الشعراء وتعاوروا هذا الفن وازدحموا في عراصه وساحاته حتى كادت تغص بهم وتمتلئ، وإذا كان لهؤلاء الشعراء من فضل فإن لشوقي عليهم فضل السبق وبداية الولوج في هذا المضمار في زمانه.([1])

فشاعرنا شوقي لم نراه في كتاباته إلا ألزم نفسه اقتفاء عقيدة أو فكرة معينة طبع بها دواوينه ولون بها أشعاره، فأصبحت هذه الفكرة سمة ظاهرة عليهم وعلامة بارزة يشير إليهم. ففي شعر أحمد شوقي نجد مكانة خاصة للعقيدة الدينية والأفكار الروحية والإسلامية حيث اهتم في منهجه الأدبي بالجانب الروحي اهتماما بالغا يسيطر على العديد من نتاجه الشعري كما نرى هذه الملامح الروحانية والإسلامية في النقاط الآتية:

1- الشعائر الإسلامية:

يشير شوقي في بعض قصائده إلى الصلاة في المسجد كأنه يشير إلى فضلها أو كأنه يحدد للمسلم ما يجب أن يحرص عليه عامة مثل صلاة الجمعة وفضلها في المسجد إلى جانب الصلاة الأيام الأخرى. ونرى شوقي يبدي حزنه عندما سقطت الخلافة عن مدينة " أدرنة " وهي واحدة من أكبر المدن في زمن الخلافة العثمانية، ودفن فيها العديد من سلاطين آل عثمان، وقد خفت صوت الأذان وخبت أنوار المساجد ولم تعد هناك صلوات الجمعة([2])، إذ يقول:

خَفَتِ الْأَذَانُ!، فَمَا عَلَيْكِ مُوَحَّدُ يَسْعَى، وَلَا الْجُمَعُ الْحِسَانُ تُقَامُ

يَدْرُجْنَ فِيْ حَرَمِ الصَّلَاةِ قَوَانِتًا بِيْضَ الْإِزَارِ، كَأَنَّهُنَّ حَمَامُ([3])

وذكر شوقي فلسفة فرضية الزكاة وحكمتها في قصائد شتى، وتعجب لمن لا يؤتون الزكاة أو يتكاسلوا في تأديتها، فيقول في ذالك:

عَجِبْتُ لِمَعْشَرٍ صَلُّوْا وَصَامُوْا عَوَاهِرَ خَشْيَةٌ وَتُقًى كِذَابَا

وَتُلْفِيْهِمْ حِيَالَ الْمَالِ صُمًّا إِذَا دَاعِي الزَّكَاةِ بِهِمْ أَهَابَا([4])

ويذكر شوقي تأثير الصيام على حياة المسلم، ويؤكد أن هذه الفريضة تحمي الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وتقوي النفس على الصبر في الشدائد والمكاره، وأصل الصوم أن يقف الإنسان عن معصية ربه لا أن يترك الأكل والشرب فحسب، حيث يقول:

يَا مُدِيْمَ الصَّوْمِ فِي الشَّهْرِ الْكَرِيْم صُمْ عَنِ الْغِيْبَةِ يَوْمًا وَالنَّمِيْم
وَإِذَا صَلَّيْتَ خَفْ مَنْ تَعْبُدُ كَمْ مُصَلٍّ ضَجَّ مِنْهُ الْمَسْجِدُ([5])

وفي مقام آخر يقول:

وَصَلِّ صَلَاةً مَنْ يَرْجُوْ وَيَخْشَى وَقَبْلَ الصَّوْمِ صُمْ عَنْ كُلِّ فَحْشَا([6])

وقد ذكر شوقي مشاعره حول الركن الخامس في الإسلام لما حج الخديوي عباس بن مُحَمَّد توفيق، وكان الخديوي قد دعا شوقي إلى الحج معه ولكن شوقي تخلف عن ذالك معتذرا بضعفه الجسدي([7])، يقول:

إِلَى عَرَفَاتِ اللهِ يَا خَيْرَ زَائِرٍ عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ فِي عَرَفَا
عَلَى كُلِّ أُفْقٍ بِالْحِجَازِ مَلَائِكٌ تَزُفُّ تَحَايَا اللهِ وَالْبَرَكَاتِ([8])

2- المناسبات الدينية:

وحين استعرضنا ما قال شوقي في المناسبات الدينية يتبين لنا أنها تتعرض إلى موضوعات مختلفة، منها موضوعات تتصل اتصالا وثيقا بالدعوة الإسلامية، ويتضح ذالك خاصة في مناسبتي الهجرة النبوية ﷺ، ومعركة البدر التي أول معركة دارت بين الإسلام والكفر. وهناك موضوعات دينية أصيلة تتعلق بشخص الرسول حين تتحدث عن إسرائه ومعراجه، وموضوعات دينية أخرى تتعلق بالعبادات، ويدخل في إطارها الحديث عن رمضان وعن ليلة القدر، والإشارة إلى الحج، وآخرها تصور مظاهر اجتماعية علاقتها المباشرة بهذا التفكير الديني الأصيل، وهي الاحتفال بعيد الفطر المبارك وبليلة النصف من شهر شعبان المكرم وغير ذالك، هذا إلى جانب ما يتداخل في نسيج أحاسيس الوجدان الخاشع أثناء زيارة البيت الحرام في الحج أو في العمرة. ولقد ظهر لنا أن أكثر الموضوعات أهمية وأبرزها في مجال الشعر هو موضوع الهجرة النبوية ﷺ ، ولعلها تقف على رأس الموضوعات في شعر المناسبات الدينية.([9])

3- المدائح النبوية:

لهج كثير من الشعراء المسلمين بمدح النبي ﷺ وأشادوا بمناقبه الكريمة تعبدا وتبركا، ووجدوا أمامهم تراثا ضخما من المدائح النبوية بدأت من شاعر الرسول حسان بن ثابت ﷺ ومن عاصره من الشعراء الإسلاميين ثم من تلاهم من الشعراء على مر الأيام والدهور، وقد تلونت تلك المدائح بأذواق العصور الإسلامية المتوالية وقبست من كل عصر خصائص الحياة المعاصرة وظروف الدول والأوطان السياسية والاجتماعية.

وشاعرنا أمير الشعراء يقدم هذه الحرارة الإسلامية الراقية التي تيهج بها قلوب المسلمين نحو سيد المرسلين ﷺ، فلا تفوته مناسبة إلا يذكر فيها السيرة النبوية مشيدا بفضائله الكريمة وشمائله الرفيعة، متضرعا ملتمسا شفاعته ﷺ، ومستغيثا به تفريج كروب الأمة المرحومة.([10])

تحركت مشاعر أحمد شوقي في نسج المدائح النبوية بعد أن اهتم بقراءة السيرة النبوية ﷺ واطلع على جوامع سيرته الطيبة. وقد كان من ثمار مدائحه النبوية القصائد التالية:

1- قصيدة " نهج البردة ":

أنشد شوقي هذه القصيدة لما رجع الخديوي عباس الثاني من أداء فريضة الحج عام 1910م، وفي نفس السنة نشرها في جريد " المؤيد "([11])، وهي قصيدة طويلة تبلغ أبياتها إلى مئة وتسعين شعرا، وفي مطلعها يقول:

رِيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ أَحَلَّ سَفْكَ دَمِيْ فِيْ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ([12])

نجد أحمد شوقي في بداية هذه القصيدة يتوسل بالحبيب المصطفى ﷺ إلى الله ﷻ أن يعطيه أرفع مقام في الدنيا والآخرة، ففيه يقول:

لَزِمْتُ بَابَ أَمِيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ يَمْسِكْ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللهِ يَغْتَنِمِ([13])

ثم يمدح بعد ذالك ذات الرسول ﷺ بأنه أكمل المخلوقات شخصية وتربية وخلقا، حيث شهد له بذالك أعداءه ومن عرفه قبل بعثته، ثم جاء مدح الشاعر للنبي ﷺ مستكملا للصفات التي لا بد لها في ازدهار رسالة رفيعة من أعظم رسالات التاريخ البشرية، فكان جامعا للحب والإخلاص، وكان معروفا بصدقه ووفائه كشهرته بعلمه وفصاحة كلامه. وهذه الصفات تدل على أنه كان على خلق عظيم.

2- قصيدة " ذكرى المولد " الأولى:

أنشد شوقي هذه القصيدة عام 1911م بمناسبة ذكرى المولد النبوي في تسع وتسعين شعرا حيث يقول في مطلعها:

بِهِ سِحْرٌ يُتَيِّمُهُ كِلَا جَفْنَيْكَ يَعْلَمُهُ([14])

نشر من هذه القصيدة القسم الغزلي في الجزء الثاني من ديوان " الشوقيات ". يشير شوقي في هذه القصيدة إلى عظمة ذكرى المولد الشريف وتعظيم صاحبها، وإلى مدى تبجيل الوجود بذالك الكوكب الدري الساطع على العالم اسمه مُحَمَّد ﷺ حيث يقول:

تَجَلَّى مَوْلِدُ الْهَادِيْ يُضِيْئُ الْكَوْنَ مَوْسِمُهُ

هَلُمُّوْا أَهْلَ ذَا النَّادِيْ عَلَى قَدَمٍ تُعَظِّمُهُ([15])

3- قصيدة " ذكرى المولد " الثانية:

اقتدى شوقي في مطلع هذه القصيدة منهج شعراء العرب القدامى حيث استهل قصيدته بالنسيب المصطنع، يقول فيها:

وَلِيْ بَيْنَ الضُّلُوْعِ دَمٌ وَلَحْمٌ هُمَا الْوَاهِيْ الَّذِيْ تَكِلُ الشَّبَابَا([16])

وقد قسم شوقي هذه القصيدة على عناوين متعددة من سيرة النبي الرسول الهادي ﷺ مع ذكر معجزاته الخالدة، واستمد من حادثة المولد الشريف كثيرا من المعاني الإسلامية واللطائف الربانية.

4- قصيدة " الهمزية النبوية ":

عارض شوقي في هذه القصيدة الرائعة بهمزية العلامة البوصيري في مئة وواحد وثلاثين بيتا، وسجل فيها شرف الرسول ودعوته الناس للإيمان به وبرسالته وبإله واحد لا شريك له. ولا يفوتنا أن نذكر أن شوقي احتفل فيها بتاريخ الإسلام، وذكر تاريخ مصر القديم وما تعاورها من غزاة مارا بذكر سيدنا موسى وعيسى، وحكم القياصرة والفرس إلى أن يبلغ إلى النبي الكريم ﷺ([17])، فيقول:

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسّمٌ وَثَنَاءُ([18])

وبوسعنا القول في الأخير، إن شوقي أوقف طرفا وسيعا من نشاطه الشعري على الكتابة في حب رحمة للعالمين ﷺ رغم تعلمه ومعيشته في البلاد الغربية، لكن هذا كله لم يغير تعلقه بدينه وعقيدته والإعجاب باحترام النبي الكريم وعظمة رسالته، ولم يكتف شوقي في أشعاره الدينية بمدح الرسول ﷺ، بل تجاوز إلى التاريخ الإسلامي والمسلمين، فنظم وهو في الأندلس كتاب " دول العرب وعظماء الإسلام "، وقد ذكر فيه الشخصيات الإسلامية البارزة حيث يتعرف القارئ على الحب الكبير لشوقي من هؤلاء السلف الصالحين.

المحور الإسلامي في شعر مُحَمَّد إقبال:

استخدم العلامة مُحَمَّد إقبال فكره وفنه لمحو ظلام عصره، وأحيا رسالة القرآن في القرن التاسع من خلال شعره، حيث قدم في دواوينه الأفكار الروحية والقرآنية وأعلنها طريقا لخير البشرية جمعاء، ولذا يعتبر إقبال من الشعراء الإسلاميين البارزين في آداب العالم، والذي يقرأ دواوينه يجد فيها أثرا بالغا بأساليب القرآن العظيم والمصطلحات الروحية ورموزها ومعانيها.

وقد ذكر إقبال في كثير من الأبيات سر الأركان الخمسة في الإسلام، وبين فلسفتها وحكمها([19]) كما يقول:

دُرَّةُ التَّوْحِيْدِ، فَاحْفَظْهَا الصَّلَاة حَجُّكَ الْأَصْغَرُ، فَاعْرِفْهَا الصَّلَاة

يَفْتُكُ الصَّوْمُ بِجُوْعٍ وَصُدَى ضَابِطًا بِالْقِسْطِ هَذَا الْجَسَدَا

وَيُثِيْرُ الْحَجُّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ هِجْرَةُ الْأَهْلِ بِهِ وَالْوَطَنِ

بِالزَّكَاةِ الْعَابِدُ الْمَالَ ادَّكَرْ عَلَّمَتْ حُبَّ الْمُسَاوَاةِ الْبَشَرْ

تُكْثِرُ الْمَالَ، وَشُحًّا تُمْحِقُ " لَنْ تَنَالُوْا الْبِرَّ حَتّى تُنْفِقُوْا "([20])

وقد تفوق شاعر الشرق مُحَمَّد إقبال من بين شعراء عصره بأنه قد استخدم فنه الفكري وقوته الأدبية وعبقريته الفنية لنشر الأفكار الإسلامية، لا يعرفه العالم شاعرا غزليا فحسب ولا شاعرا وطنيا متعصبا ولا شاعر الشباب والخمريات، بل كان صاحب رسالة إسلامية، حيث أيقظ أمة نائمة وحرك نفوسها وأملأ قلوبها إيمانا وحماسة وطموحا إلى حياة العز والشرف وسيادة العالم.([21])

وقد بين الداعي الكبير أبو الحسن علي الندوي سبب إعجابه بفكر إقبال حيث يقول: " الشيئ الذي أعجبني في شعر إقبال هو الطموح والحب الإيماني، وهذا المزيج الجميل يمتاز شعره وأدبه من معاصريه ".([22])

دور شاعرية إقبال في معترك الفكر الروحي:

في أواخر القرن العشرين هاجت شبه القارة الهندية بتيارين فكرين متلاطمين: كان التيار الأول يركز على تقليد المسلمين بالحضارة الغربية في مظاهرها العلمية والروحية لتقدمهم وازدهارهم في المجتمع، وكان غاية التيار الثاني دعوة المسلمين إلى التمسك بدينهم والاعتصام بحضارتهم، ويرى فلاح المسلمين في ذالك.

ففي مثل هذا المعترك الفكري والروحي قام العديد من العلماء المسلمين في الهند قاطبة من أمثال المجاهد الكبير الشيخ مُحَمَّد علي جوهر والداعي العظيم أبو الأعلى المودودي وشاعر الشرق العلامة مُحَمَّد إقبال بدراسة الحضارة الغربية ومشاكل العصر، وعرفوا محاسن الحضارة المعاصرة ونقائصها، وحللوها تحليلا علميا وفكريا، وتركوا تأثيرا عظيما في الفكر الإسلامي المعاصر. وقضى إقبال الشطر الثاني من حياته التي امتدت بين عام 1883م وعام 1938م في حل أسباب انحطاط المسلمين وبعث روح الإيمان والاعتزاز في قلوبهم.([23])

وقد جمع إقبال في شعره بين الفكر والعقل والعاطفة والقلب والعلم الصحيح، فكان هائما بسيرة الرسول ﷺ، وأصحابه الكرام وأبطال الإسلام فحرك الضمائر بذكرهم ودعا الأمة الإسلامية إلى الاقتداء بهم، وكان شديد الاعتزاز بتراث الإسلام لا يوجد له مثيل في الآداب الأردية والفارسية حيث افتخر في كثير من أشعاره بأعلام الإسلام، وما أبدعوا من فنون وروائع الفكر، وكان شديد الرد على تقليد المسلمين بالحضارة الأوربية، فيقول في هذا([24]):

عَنْ شُعُوْبِ الْغَرْبِ مَيِّزْ أُمَّتَكْ وَإِلَيْهَا أَنْتَ فَاصْرِفْ هِمَّتَكْ

وَاتِّحَادُ الْغَرْبِ لَكِنْ بِالْوَطَنْ وَحْدَةُ الْإِسْلَامِ دِيْنٌ فَاعْلَمَنْ

إِنَّمَا الْغَرْبِيُّ عَنْ دِيْنٍ صَدَفْ فَعَنِ الْوَحْدَةِ قَدْ كَانَ انْصَرَفْ([25])

مدائحه النبوية:

كل من يطالع دواوين إقبال سواء أردية أو فارسية يجدها مملوءة بمدائح النبوية ﷺ، ويظن القارئ أن ذالك هو المحور الوحيد الذي تدور حوله حياته وفكره وفنه، لكن إقبال لم يتطرق على المنهج الذي سار عليه الآخرون من شعراء اللغة الأردية والفارسية حيث لم يعنون قصائده بمدائح النبوية أو نعت الرسول ﷺ، فمثلا في منظومة المعروفة بعنوان " جواب الشكوى "([26]) حينما تصل إلى أواخرها تصبح مدحا نبويا خالصا حيث يجيب إقبال من جانب الله تعالى فيقول:

وَبِعِشْقٍ أَظْهِرَنَّ الْمُخْتَبِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَنِرْ بِاسْمِ النَّبِيْ

دُوْنَ وَرْدٍ([27]) لَا يُغَنِّي الْبُلْبُلُ فِيْ رِيَاضٍ بَسْمَةٌ لَا تَجْمُلُ

أَيُّ سَاقٍ دُوْنَ كَأْسَاتٍ تَدُوْر أَنْتَ لِلتَّوْحِيْدِ كُنْ ذَاتَ الْغَيُوْر

هُوَ([28]) فِي الصِّيْنِ وَفِي الْغَرْبِ سَكَنْ هُوَ فِي أَعْمَاقِ إِيْمَانٍ كَمَنْ

كُلُّ عَيْنٍ سَتَرَاهُ لِلْأَبَدْ وَبِهَذَا الْكَوْنِ كُلٌّ قَدْ وَجَدْ

أَنْتَ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ شَغَلَكْ قَلَمٌ وَحَتَّى ذَاكَ اللَّوْحُ لَكْ([29])

لقد بين إقبال في كثير من قصائده أن ذات الرسول ﷺ رمز الوحدة لهذه الأمة، وسر اتحاد هذه الملة، ونحن لن نتحد ونجتمع إلا بالتمسك به، حيث يقول([30]):

وَحَّدَ الْمُرْسَلُ فِيْنَا النَّغَمَا وَالطَّوَايَا وَالْمُنَى وَالْأَلَما

كَثْرَةُ الْأُلَّافِ عَيْنِ الْوَحْدَة وَمِنَ الْوَحْدَةِ نَشْءِ الْأُمَّة

إِنَّهُ قُوَّةُ هَذِى الْمِلَّة إِنَّهُ سِرُّ اتِّحادِ الْأُمَّة([31])

وفي قصيدة أخرى يقول: إن قلوب المسلمين عامرة بعشق النبي ﷺ، وهو رمز كرامتنا وأمارة عزنا وشرفنا في هذا الكون، وهو السيد الذي وطأ عبيده تاج كسرى، وهو ينام على حصير، وإذا كان في الصلاة فعيناه تسيلان دموعا لهذه الأمة، وإذا كان في الميدان فسيفه يقطر دما لصالح هذه الأمة، فتح في العالم دورا جديدا، علم العالم المساواة، وساوى الرفيع والوضيع في أنظار الإنسانية، كان يأكل ويشرب مع عبيده على مائدة واحد. كان رفقه وغضبه كله رحمة، هذا بمخاصمه وذالك برفقاءه، الذي كشف القناع وأزاح الستار عن باب الرحمة، وقال يوم فتح مكة: لا تثريب عليكم اليوم، نحن المسلمين في أقطار العالم المختلفة كأزهار مختلفة اللون ومتحدة الرائحة، وأنا لم لا أحنّ إلى مثل هذا النبي الكريم ولم لا أبكي لفراقه وقد جزعت وحنّت إليه سارية المسجد.([32])

فخلاصة القول أن كلا الشاعرين أحمد شوقي ومُحَمَّد إقبال تناولا في دواوينهما الموضوعات المختلفة والنواحي الشتى في وصف الرسول ﷺ، وكان قلب الشاعرين يرتجف بذكره ﷺ، ومحبة الرسول كانت تجري في قلوبهما كمجرى الدم في العروق والجسد، وكلاهما يتيقّيان أن وجود النبي وذاته ﷺ كان رحمة للعالمين حيث تحولت ببركته الظلمة إلى النور والشر إلى المنفعة، وحُرّرت الإنسانية من عبودية العباد إلى عبادة رب العباد، فكانت بعثته إمتنان ربّاني عظيم على الكون كله.

المحور الإسلامي عند الشاعرين في شعر الأطفال:

قدّم أمير الشعراء أحمد شوقي عديدا من القصائد التي موضوعاته تدور حول المحور الإسلامي، وهو من محاوره الرئيسية في تجربته الشعرية للأطفال، لأهمية هذا المحور في بناء شخصية الطفل الصالحة، واستمد فيه من القرآن الكريم، واستخدم الثقافة الإسلامية كمصدر أساس في بناء الشخصيات والحدث، كي يحدث نوعا من التقارب بين الأطفال والقصص القرآنية، وهذا

أمر جلي في معظم قصصه الشعرية، ودالّ على أن شوقي كان يقتبس كثيرا من كتاب الله تعالى، ويستفيد من العامل الديني، ولذا يعتبر شوقي شاعر العروبة والإسلام.

وأجدر بالذكر ما أنشد شوقي من هذه الناحية حكاياته الشعرية عن قصص النبيَين الجليلَين: سيدنا نوح وسيدنا سليمان على نبينا وعليهما السلام، حيث كان لهما قدرة كاملة وملكا عظيما على عالم الحيوان، كما ثبت ذالك عن كتاب الله ﷻ، يقول الله تعالى: " حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّوْرُ فَاحْمِلْ فِيْهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيْلٌ "([33])، جاء في تفسير هذه الآية أن نوحا على نبينا وعليه السلام استفسر عن الله تعالى طريقة تحميل من كل زوجين اثنين؟ فجمع الله له جميع أنواع الطيور والسباع، فجعل يشير بيده المباركة إلى كل نوع فيقف الذكر في جانبه الأيمن والأنثى في طرفه الأيسر، ثم حمل كلها في السفينة.([34]) ويحكي القرآن في سياق قصة سليمان عليه السلام: " وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوْتِيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِيْنُ ".([35])

حكى شوقي في الجزء الرابع من ديوانه أربع منظومات قصصية من التراث الديني مقتبسا عن قصة سليمان عليه السلام، وهي: " سليمان عليه السلام والهدهد "، و" سليمان عليه السلام والطاووس "، و" سليمان عليه السلام والحمامة "، و" البلابل التي رباها البوم "،

ونقل تسع قصصه الشعرية آخذا فكرتها الأساسية عن قصة نوح عليه السلام القرآنية، وهي: " السفينة والحيوانات"، و" نوح عليه السلام والنملة في السفينة "، و" الدب في السفينة "، و" الثعلب في السفينة "، و" الليث والذئب في السفينة "، و" الثعلب والأرنب في السفينة "، و" الأرنب وبنت عرس في السفينة "، و" الحمار في السفينة "، و" القرد في السفينة ".

ففي قصة شعرية " السفينة والحيوانات " مثلا، يستلهم شوقي الأطفال قيمة الروحية الهامة، وهي الوحدة فيما بينهم وحب الإنسانية، ويشير فيها إلى قانون الحياة الطبيعي في تخالف الطبائع وتضادها، فعندما اجتمعت الحيوانات المختلفة الطبائع على ظهر السفينة التي صنعها نوح عليه السلام بأمر الله تعالى، وجرت السفينة على متن البحر المهيب بين الأمواج العالية كالجبال الشامخة، نسي الجميع حقائدهم وعداوتهم، وارتبطوا فيما بينهم بالحب والسلام، وأقروا على أن تؤذي أحد الآخر، كي يخرجوا جميعا من هذه الكارثة والهلاك، لكن لما وقفت السفينة على الجبل الجودي، وخرجوا منها بسلام، واطمئنوا على نجاة أنفسهم، عادت الأمور إلى الحالة القديمة من نزاع وخصومة وعداء وخداع.

يقتبس شوقي بعض كلمات هذه القصة الشعرية من القرآن الكريم، كما يقول:

لَمَّا أَتَمَّ نُوْحٌ السَّفِيْنَهْ وَحَرَّكَتْهَا الْقُدْرَةُ الْمُعِيْنَهْ

جَرَى بِهَا مَا لَاجَرَى بِبَالِ فَمَا تَعَالَى الْمَوْجَ كَالْجِبَالِ([36])

فاستعار شوقي البيت الثاني من الآية القرآنية، وهي: " وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين "([37])، ويقول في البيت الآخر من هذه القصة:

حتى إذا حطوا بسفح الجودي وأيقنوا بعودة الوجود([38])

حيث اقتبس فيه من الآية الكريمة: " وَقِيْلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِيْ مَاءَكِ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِيْ وَغِيْضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُوْدِيِّ وَقِيْلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ ".([39])

وفي قصة " الحمار في السفينة " ذكر شوقي للحمار صورة سلبية، وجعله رمزا للحماقة والجهل، وهذا أيضا مقتبس من القرآن الكريم حيث شبه العلماء الذين لا يعملون وفق علمه بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يعرف بما فيها، يقول الله تعالى: " مَثَلُ الَّذِيْنَ حُمِّلُوْا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوْهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ".([40])

وفي ثلاث قصص شعرية أعني " سليمان عليه السلام والحمامة "، و" سليمان عليه السلام والهدهد "، و" سليمان عليه السلام والطاووس " نجد أن هذه الطيور حاضرة في بلاط النبي سليمان عليه السلام وهو يحاورها، فشوقي أيضا التقط هذا الخيال من القرآن الكريم في قوله تعالى: " وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُوْدُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوْزَعُوْنَ ".([41])

أما العلامة مُحَمَّد إقبال فأخذ أيضا الفكر الرئيسي في قصصه الشعرية على ألسنة الحيوان والطيور من القصص القرآنية التي وردت في سورة النمل وغيرها بما تتضمنه من ملامح فنية تجسد كثيرا من المبادئ الأخلاقية كالصبر، والثبات على المبدأ، والتضحية من أجله، والدفاع عن الحق، ونصرة المظلومين، وهداية الضالين، وكلها مبادئ يمكن بوسائل العرض الفنية أو تشبع احتياجات الأطفال. ونموذج على ذالك منظوماته بعناوين " المواساة " و" دعاء الطفل " ونحوها، وما ضمنه إقبال فيها من معاني ومبادي قرآنية فهي واضحة. وتعتبر السيرة النبوية ﷺ وسيرة الصحابة ﷺ أيضا مصدرا هاما عند مُحَمَّد إقبال لما تتضمنه من بطولات وأحداث مادية ومعنوية تجتذب اهتمام الأطفال، وتلبي شوقهم للمغامرة والبطولة، وتتجلى فيها المبادئ والقيم مما تشبع حاجاتهم النفسية، ويستمد إقبال منها الأفكار الصالحة وقام بتبسيطها وقدمها لهم، وقد تعددت نماذج شعر الأطفال عند إقبال التي اعتمدت على الثقافة الإسلامية والتراث الديني اقتباسا أو تلخيصا أو تبسيطا، وحاول أن يوظف هذه المادة التراثية في أشكال فنية تناسب مستويات مرحلة الطفولة، ونضرب هنا مثلا بمنظوماته: " بلال ﷺ "، و" أبو بكر الصديق ﷺ "، و" الدعاء "، و" النشيد الإسلامي "، و" فاطمة بنت عبد الله "، و" الملك لله "، كما تأثر إقبال بواقع الإسراء والمعراج، وهي الفكرة الرئيسية في نظمه " إلى جاويد "، إلى جانب استلهامه لمعاني الحديث النبوي الشريف في منظوماته.

وقد تأثر إقبال أيضا في شعره للأطفال بأدب الوصايا عند الإمام الغزالي في رسالته " بسرا " أي أيها الولد، وفي كتابه الشهير " إحياء علوم الدين " وما يتعلق بالطفولة، كما تأثر بمنهج التربية الإسلامية والروحية عند العالم الجليل سعد الدين الشيرازي وقصصه الأخلاقية في كتابيه الشهيرين: "كلستان وبوستان ". وأيضا تأثر إقبال في نتاجه الأدبي للناشئين بالكتب الوعظية والأخلاقية والروحانية لجلال الدين الرومي وحكاياته التمثيلية الصوفية وخاصة بكتابه المعروف المسمى ب" مثنوي معنوي "، وقد بلغ تأثر إقبال بالرومي أن ذكره في عدة مواضع منها:

1- كان إقبال يعتبر الرومي مرشده وقد دار بينه وبين الرومي حوار شعري رائع بعنوان " المرشد والمريد " حيث اعتبر إقبال الرومي مرشده.

2- في كتاب " جاويد نامه " أي رسالة الخلود ينصح إقبال ابنه جاويد بأن يتخذ الرومي رفيقا له وقدوة له في حياته حيث يقول: اجعل من الشيخ الرومي رفيق الطريق كي يهبك الله النار والانصهار.([42]) وفي ديوانه " ضرب الكليم " وجه إقبال رسالة هامة مليئة بالنصائح الإسلامية والأخلاقية إلى نجله جاويد بعنوان " جاويد سے " أي من جاويد.

استقى إقبال كثيرا ما في أدب الأطفال من المصادر الإسلامية والشرقية القديمة، وهذه المصادر وإن لم تكتب للأطفال في الأساس لكن إقبال استمد منها في شعره للأطفال الأفكار الصالحة ثم قام بتبسيطها وقدمها لهم، وقد تعددت هذه النماذج عند إقبال التي اعتمدت على المصادر الإسلامية اقتباسا أو تلخيصا أو تبسيطا كما حاول الشاعر أن يوظف هذه المادة التراثية في أشكال فنية تناسب مستويات مراحل الطفولة.

خاتمة البحث:

بعد بحث شعر الأطفال عند أحمد شوقي ومُحَمَّد إقبال من محور إسلامي استطعنا إثبات هذه النتائج:

1- كان شوقي وإقبال أول من أبدع شعرا للأطفال في الأدبين: العربي والأردي بعيدا عن كتب الدراسة والمناهج، واتخذ كلاهما من شعرهما وسيلة لعرض نظريات إسلامية لأطفال مصر والهند، وكلاهما وصلا في إبداعاتهما في شعر الأطفال العربي والأردي لدرجة روائع المنظومات التربوية والإصلاحية، وتعد لا مثيل لها في الأدبين: العربي والأردي من حيث المضمون واللغة والأسلوب.

2- شعر الأطفال عند شوقي وإقبال يحمل اتجاهات إيجابية في تكوين أفكار الأطفال وبناء شخصياتهم ليكونوا رواد الحياة وتتعدد اتجاهات شعر الأطفال عندهما من حيث أصولها وأهدافها الإسلامية والتربوية والعقيدية والروحية، وضمنت منظوماتهما وقصصهما الشعرية الدروس الدينية والموعظة الأخلاقية.

3- استحدث شوقي وإقبال في الأدبين: العربي والاردي نوعين من فنون شعر الأطفال هما: المنظومات والقصص الشعرية، وأغلب نماذجه على لسان الحيوانات والطيور، وذالك أن الأطفال يرغبون في استماع هذا النوع من القصص ويحبونها كثيرا بالنسبة إلى غيرها.

4- من خلال موضوعات شعر الأطفال، حافظ الشاعران على التراث الديني والثقافة الإسلامية فكانا فخوران بهما، وحاولا دائما تعليمهما للأطفال وتعميق إحساسهم بالانتماء إلى دينهم وثقافتهم، حيث نجد الفكر الإسلامي عندهما الموضوع الرئيسي الذي تدور حوله العديد من قصائدهما وأناشيدهما.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المصادر والمراجع(References)

[1] – فارس، د. عزت، النزعة الإسلامية في شعر شوقي، دار يافا العلمية: الأردن، 2010م، ط1، ص126.

Faris, Dr Ezzat, Al Nazatul Islmiah Fi Shari Shauqi, (Daru Yafa Al Elmiah, Jordan, 2010), p: 126.

[2] – عبد الوهاب، سعاد، إسلاميات أحمد شوقي، مطبع أهرام الجيزة الكبرى: القاهرة، د.ت.ط، ص118.

Abdul Wahab, Suaad, Isamiayatu Ahmad Shauqi, (Matba Ahram Al Jeeza Al Kubra, Cairo), p: 118.

[3] – شوقي، أحمد، ديوان الشوقيات، دار العودة: بيروت، د.ط، 1978م، ج1، ص238.

Shauqi, Ahmad, Deewan Al Shauqiyat, (Dar Al Awda, Bairut, 1978), v: 1, p: 238.

[4] – نفس المصدر، ص70.

Shauqi, Ahmad, Deewan Al Shauqiyat, p: 70.

[5] – نفس المصدر، ج4، ص42.

Shauqi, Ahmad, Deewan Al Shauqiyat, v: 4, p: 42.

[6] – نفس المصدر، ص35.

Shauqi, Ahmad, Deewan Al Shauqiyat, p: 35.

[7] – عبد الوهاب، سعاد، إسلاميات أحمد شوقي، مطبع أهرام الجيزة الكبرى: القاهرة، د.ت.ط، ص115.

Abdul Wahab, Suaad, Isamiayatu Ahmad Shauqi, (Matba Ahram Al Jeeza Al Kubra, Cairo), p: 115.

[8] – أحمد شوقي، الشوقيات، ج1، ص98.

Shauqi, Ahmad, Deewan Al Shauqiyat, v: 1, p: 98.

[9] – سعاد عبد الوهاب، إسلاميات أحمد شوقي، ص138.

Abdul Wahab, Suaad, Isamiayatu Ahmad Shauqi, p: 138.

[10] – نفس المصدر، ص 124.

Abdul Wahab, Suaad, Isamiayatu Ahmad Shauqi, p: 124.

[11] – صبري، مُحَمَّد، الشوقيات المجهولة، دار المسيرة: بيروت، 1979م، ط2، ج2، ص116.

Sabri, Muhammad, Al Shauqiyat Al Majhoola, (Dar Al Maseerat, Bairut, 1979), v: 2, p: 126.

[12] – أحمد شوقي، الشوقيات، ج1، ص190.

Shauqi, Ahmad, Deewan Al Shauqiyat, v: 1, p: 190.

[13] – نفس المصدر، ص194.

Shauqi, Ahmad, Deewan Al Shauqiyat, p: 194.

[14] – مُحَمَّد صبري، الشوقيات المجهولة، ج2، ص135.

Sabri, Muhammad, Al Shauqiyat Al Majhoola, v: 2, p: 135.

[15] – نفس المصدر، ص137.

Sabri, Muhammad, Al Shauqiyat Al Majhoola, p: 137.

[16] – أحمد شوقي، الشوقيات، ج1، ص68.

Shauqi, Ahmad, Deewan Al Shauqiyat, v: 1, p: 68.

[17] – د.عزت فارس، النزعة الإسلامية في شعر شوقي، ص157.

Faris, Dr Ezzat, Al Nazatul Islmiah Fi Shari Shauqi, p: 157.

[18] – أحمد شوقي، الشوقيات، ج1، ص34.

Shauqi, Ahmad, Deewan Al Shauqiyat, v: 1, p: 34.

[19] – إقبال، مُحَمَّد، اسرار ورموز، كتب خانه نذيريه: دهلى، ط1، 1962م، ص39.

Iqbal, Muhammad, Asrar o Romuz, (Kutubkhana Naziryah, Dehli, 1962), p: 39.

[20] – الغوري، سيد عبد الماجد، ديوان مُحَمَّد إقبال الأعمال الكاملة، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 2007م، ص155.

Al Ghauri, Sayyed Abdul Majid, Deewan Muhammad Iqbal Al Aamaal Al Kamila, (Dar Ibn Katheer, Bairut, 2007), p: 155.

[21] – الساعدي، مُحَمَّد، مُحَمَّد إقبال اللاهوري، عبقري الفكر والإصلاح، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية: تهران، ط1، 2014م، ص257.

Al Saaidi, Muhammad, Muhammad Iqbal Abqariyyul Fikre wal Islahe, (Al Majmaul Al Alamiy Littaqreeb Bain Al Mazahib Al Islamiah, Tehran, 2014), p: 257.

[22] – الغوري، عبد الماجد، العلامة أبو الحسن الندوي رائد الأدب الإسلامي، دار ابن كثير: بيروت، 2009م، ط1، ص144.

Al Ghauri, Sayyed Abdul Majid, Al Allama Abul Hasan Al Nadwi Raaedul Adab Al Islamiy, (Dar Ibn Katheer, Bairut, 2009), p: 144.

[23] – الغوري، عبد الماجد، مُحَمَّد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف، ص134-135.

Al Ghauri, Sayyed Abdul Majid, Muhammad Iqbal Ashayer Almofakkir Alfailasof, p: 134-135.

[24] – مُحَمَّد إقبال، بانگ درا، ص248.

Iqbal, Muhammad, Bange Dara, p: 248.

[25] – حازم محفوظ، حسين المصري، بدائع العلامة إقبال في شعره الأردي، ص197.

Hazim Mahfuz, Husain Misri, Badaeul Allama Iqbal Fil sharil Urdiy, p: 197.

[26] – إقبال، مُحَمَّد، بانگ درا، ايجوكيشنل بک هاؤس: دهلى، ط1، 1975م، ص207.

Iqbal, Muhammad, Bange Dara, (Educational Book House, Dehli, 1975) p: 207.

[27] – المراد من الورد النبي الكريم ﷺ.

[28] – الضمير يرجع إلى الرسول ﷺ.

[29] – حازم محفوظ، حسين المصري، بدائع العلامة إقبال في الشعر الأردي، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة، ط1، 2005م، ص172.

Hazim Mahfuz, Husain Misri, Badaeul Allama Iqbal Fil sharil Urdiy, (Al Majlisul Aala Lithaqafa, Cairo, 2005), p: 172.

[30] – مُحَمَّد إقبال، اسرار وروموز، ص93.

Iqbal, Muhammad, Asrar o Romuz, p: 93.

[31] – الغوري، ديوان مُحَمَّد إقبال الأعمال الكاملة، ص203.

Al Ghauri, Sayyed Abdul Majid, Deewan Muhammad Iqbal Al Aamaal Al Kamila, p: 203.

[32]– أنظر للأبيات: مُحَمَّد إقبال، اسرار ورموز، ص17–18.

Iqbal, Muhammad, Asrar o Romuz, p: 17-18.

[33]– سورة هود، الآية 40.

Surah Alhood, Alaya 40.

[34]– أنظر: البغوي، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود، التفسير البغوي (معالم التنزيل)، دار طيبة: رياض، ط1، 1989م، ج4، ص177.

Al Baghwi, Abu Muhammad Al Husain Ibn Masood, Al Tafseerul Baghwi, (Maalimu Tanzeel) (Daru Taiba, Riaz, 1989), v: 4, p: 177.

[35]– سورة النمل، الآية 16.

Surah Annamal, Alayah 16.

[36]– الشوقيات، ج4، ص159.

Deewan Al Shauqiyat, v: 4, p: 159.

[37]– سورة هود، الآية42.

Surah Alhood, Alaya 42.

[38]– الشوقيات، ج4، ص159.

Deewan Al Shauqiyat, v: 4, p: 159.

[39]– سورة هود، الآية 44.

Surah Alhood, Alaya 44.

[40]– سورة الجمعة، الآية 5.

Surah Aljumuaa, Alaya 5.

[41]– سورة النمل، الآية 17.

Surah Annamal, Alaya 17.

[42]– جمال الدين، د.مُحَمَّد السعيد، رسالة الخلود (ترجمة عربية لجاويد نامه)، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، د.ط.ت، ص336.

Jamal u Deen, Dr, Muhammad Al Saeed, Risalatul Khulod, Arabic translated of Javed Nama, (Muassasatu Sijli Al Arab, Cairo), p: 336.